**موضوعات التأثر والتأثير**

**رابعة/مسائي**

**أ. د. سعد التميمي**

على الرغم من تأكيد بعض الدارسين المقارنين أن الدراسات التي تجري بين نتاجين أدبيين من قوميتين مختلفتين لا توجد بينهما صلة تاريخية أو ثقافية لا تدخل ضمن البحوث المقارنة اذ يجب أن يكون لدى من يقوم بالمقارنة أن الأدب القومي واقع تحت تأثير أدب أجنبي واستفاد منه وانتهج بعض أساليبه وجوانبه الفنية، وأن يثبت كيفية التقاء هذين الأدبين وزمن التقائها ونوعية تأثير أحدهما في الآخر، فأهمية الأدب المقارن لا تقف عند دراسة التيارات الفكرية والأجناس الأدبية والقضايا الإنسانية في الفن، بل تكشف عن جوانب تأثر الكتاب في الأدب القومي بالآداب العالمية، لكن هذا لا يتوافق مع رواد المدرسة الأمريكية فالأدب المقارن لا ينحصر في دراسة التأثير والتأثر بين الآداب المختلفة كما قلنا، وإن كانت بعض مدارسه تشترط ذلك، وهي المدرسة الفرنسية ومن يلفون لفها

أن دراسة التأثير والتأثر بين مختلف الآداب يمثل جانبًا واحدًا من جوانب بحوث الأدب المقارن كما يؤكد المقارنون الذين يشترطون وجود تأثير وتأثر، وهو يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة، وصلاتها الكثيرة المعقدة، في حاضرها أو في ماضيها، وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثر، وأيًّا كانت مظاهر ذلك التأثير أو التأثر، وسواء تعلقت بالأصول الفنية العامة للأجناس والمذاهب الأدبية أو التيارات الفكرية، أو اتصلت بطبيعة الموضوعات والمواقف والأشخاص التي تعالج أو تحاكي في الأدب، أو كانت تمس مسائل الصياغة الفنية والأفكار الجزئية في العمل الأدبي، أو كانت خاصة بصور البلاد المختلفة كما تنعكس في آداب الأمم الأخرى بوصفها صلات فنية تربط ما بين الشعوب والدول بروابط إنسانية تختلـف باختلاف الصور والكتاب، ثم ما يمتُّ إلى ذلك بصلة من عوامل التأثير والتأثر في أدب الرحالة من الكتاب

ومن الموضوعات الأدبية التي يتضمنها التأثير والتأثر: ما يتعلق بأديب من الأدباء، أوموضوع أدبي، أو ما يتعلق بالأسلوب اللغوي، أو بالشكل الفني، أو بالجانب الفكري، أو ما يتعلق بجنس من الأجناس الأدبية، و بالقواعد التي تخص هذا الجنس أو ذاك، وقد يتعلق بالصور الفنية، وقد يتعلق بنموذج أو شخصية أدبية ،ويتناول الباحثون في الأدب المقارن هذا الموضوع الأدبي أو ذاك فيتابعون انتقاله من أدب إلى آخرَ محاولين معرفة الطريق التي سلكها في رحلة الانتقال، والعوامل المسؤولة عن ذلك الانتقال، ومسجلين ما يطرأ عليه من تحويرات أو تعديلات أثناء تلك الرحلة

 وهناك موضوعات تقليدية غاب أصلها الأدبي في غياهب الزمن، فلم نعد نعلم عن انتقالها من هذا الأدب إلى ذاك شيئًا، وذلك مثل أسطورة خاتم سليمان، وأسطورة طاقية الإخفاء، وأسطورة الشحاذة الطيبة الجميلة التي تتزوج ملكًا، وفي كل موضوع من تلك الموضوعات نجد تفصيلات يضيفها كل كاتب إليه ، فتعطيه نكهته التي يتميز بها عن معالجـة مبدع آخر لذات المـوضوع، وتقوم المقارنة الأدبية هنا بتبيان الفروق ووجوه الاتفاق بين المعالجات المختلفة لذلك الموضوع ،ويؤكد الدارسون المقارنون أن التأثر بإبداعات الآخرين لا يعد عيبًا فليس هناك مبدع يأتي بإبداعاته من فراغ ،

ومن الموضوعات التي تتناولها الدراسات المقارنة الانتقام أو التضحية وبعض السلوكيات والمعتقدات أو القيم، لتكشف عبقرية الكتَّاب الذين تناولوا هذا الموضوع،مثل مسرحية(فاوست) لجوته، اذ نرى فاوست في أول المسرحية شقيًّا كل الشقاء بعقله و يهمّ بالانتحار، ثم يتولد عنده الأمل ويسعى لتحقيق السعادة عندما يبدأ بالتفكير في المستقبل، ويظل على هذا طوال الجزء الأول من المسرحية، ثم ينتهي هذا الجزء بنجاة مرجريت منه ومن روح الشر المسيطرة عليه، مفضلة البقاء في السجن والبعد عن حبيبها، وفي الجزء الثاني يظل فاوست منغمسًا في تجارِب الحياة المادية إلى أن يتعرف على هيلين رمز الجمال الخالص، فيهتدي عن طريقها إلى الخير والعفة والفضيلة،

وهذه القصة نفسها تمثل المحور العام لمسرحية(شهرزاد)لتوفيق الحكيم؛ إذ تعالج قضية الصراع بين العقل والقلب، مما يوضح تأثر توفيق الحكيم بجوته، كما لاحظ الدارسون المقارنون الذين عكفوا على دراسة هذين العملين.  
وهناك مثال آخر على الموضوعات أو النماذج التي يتناولها الأدب المقارن، وهو موضوع الحب المحرم في الآداب العالمية، حيث يمكن تتبع رذيلة ارتكاب الحرام عن طريق نشوء عاطفة آثمة داخل الأسرة، بدءًا من مسرحية(هيبوليت) للشاعر المسرحي الإغريقي يوربيدس، مرورًا بمسرحية(فيدر)في القرن السابع عشر الميلادي بقلم المؤلف المسرحي الفرنسي راسين،

وصولاً إلى معالجة نفس القضية مع تغير الأدوار في مسرحية(تحت أشجار الدردار)للكاتب للكاتب الأمريكي يوجين أونيل ،ومسرحية (اللص) لتوفيق الحكيم